

توظيف المثل الشعبي عند مصطفى أبو عجيل من خلال كتابه من ذاكرة قرية دراسة في الموروث الليبي

أ.د/عمر علي سليمان الباروني

محاضر بقسم اللغة العربية بكلية التربية- جامعة مصراتة

o.albarouni@Edu.misuratau.edu.ly

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى تتبع المثل الشعبي وتوظيفه في كتاب (من ذاكرة قرية) لمؤلفه الدكتور مصطفى أبو عجيل، وتحليل المثل في ضوء السياق اللغوي، وما يرمي إليه من إichاءات تربوية، وانعكاسات حياتية لأهل قرية الزروق خاصة، وقرى مدينة مصراتة عامة، ثم محاولة استشفاف مضرب هذه الأمثال؛ لغرض التوفيق بين المضرب والمورد، فالمثل سجل حياة، ومراة صادقة تصور سير يوميات معيشة أهل القرية، وما يكتنفها من أحداث ومواقف.

وكانت خطة البحث مكونة- بعد المقدمة- من تمهيد للتعريف بالمؤلف وكتابته، والتعريف بالمثل وما يتعلق به، ثم يعقب التمهيد ثلاثة مباحث، خصصت الأول لأمثال الزواج والزراعة وما يتعلق بهما، وخصصت الثاني لأمثال النصح والتحذير، وخصصت الثالث لأمثال الحظ والتفاؤل والسرور وعدم الرضا، ثم تلي هذه المباحث خاتمة تتضمن أهم النتائج.

الكلمات المفتاحية: توظيف، المثل، الشعبي، أبو عجيل، الموروث، الليبي.

Employing the popular proverb according to Mustafa Abu Ajila Through his book From the Memory of a Village A study in Libyan heritage

Dr .Omar Ali Suleiman Albarouni

Lecturer in the Department of Arabic Language Faculty of Education
Misurata University

Abstract This research aims to trace the popular proverb and employ it in the book (From the Memory of a Village) by its author, Dr. Mustafa Abu Ajila, and analyze the proverb in light of the linguistic context, and the educational implications it aims to have, and life implications for the people of the village of Al-Zarouk in particular, and the villages of the city of Misrata in general, then an attempt to explore He used these proverbs; For the purpose of reconciling the striker and the supplier, the proverb is a life record, an honest mirror that depicts the daily life of the village people, and the events and situations surrounding it.

The research plan consisted - after the introduction - of an introduction to introduce the author and his book, and an introduction to the proverb and what is related to it. Then the introduction was followed by three sections. The first was devoted to the likes of marriage and agriculture and what is related to them, the second was devoted to the likes of advice and warning, and the third was devoted to the likes of luck, optimism, happiness, and dissatisfaction. These sections are then followed by a conclusion that includes the most important results.

Keywords: recruitment, proverb, popular, Abu Ajila, inherited, Libyan.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد؛ فإن لكل قوم تراثاً وتاريخاً يعتزون بهما، وهما سجل حياتهم ومرآة صادقة تصور سير يوميات معيشتهم، وما يكتنفها من أحداث ومواقف، ومن وسائل التعبير عن النفس والأحاسيس وخلجات القلوب ومساح الأفكار تلك العبارات الموجزة التي تنقل الحدث في لحظة خاطفة بألفاظ يسيرة، وفي صورة متكاملة الأبعاد، تتضمن في طياتها معاني وقيماً إنسانية نبيلة، نبعت عن تلامس الفكر والحدث وتعانقهما في آن واحد، وهو ما يسميه الأدباء والمثقفون بالمثل، وهو لا يخص أمة دون أمة، أو لغة دون لغة، أو لهجة دون لهجة؛ بل هو عند الجميع بمختلف شرائحهم ولغاتهم، ومن بين تلك التصنيفات للمثل: أمثال العامة، أو الأمثال الشعبية العامة.

وقد برز توظيف الأمثال الشعبية العامة في كتاب (من ذاكرة قرية) للدكتور مصطفى عبد الرحيم أبو عجيلة - رحمه الله - في أسمى صورته، وأعدب تعابيره، ففي هذا الكتاب صورّ وسجل المؤلف حياة القرية وما يتخللها من عادات وتقاليد وأعراف اجتماعية يعيشها الناس في ليبيا ومصراتة تحديداً في زمن قضاه المؤلف بين هؤلاء الناس، فهو يذكر العادة أو الحكاية ويؤيد ما يذكره بما حفظه من أمثال شعبية سمعها من أهله ومجتمعها، فيها من الحكمة والتوجيه ما يعكس العقلية الليبية والتفكير الشعبي لدى عامة الناس.

وعند اطلاعي على الكتاب الذي ذكرته لحظت أن المؤلف يعمد إلى ذكر مثل شعبي بين الفينة والأخرى، فرأيت أن أجمع هذه الأمثال، ثم محاولة استشفاف مضمونها؛ لغرض التوفيق بين المضرب وبين ما ذكره المؤلف من معاني وتحليل وشرح للمثل، وقد سمت بحثي هذا باسم: توظيف المثل الشعبي عند (مصطفى أبو عجيلة) من خلال كتابه (من ذاكرة قرية)، دراسة في الموروث الليبي.

وجعلت خطة البحث مكونة - بعد المقدمة - من تمهيد للتعريف بالمؤلف وبكتابه، والتعريف بالمثل وما يتعلق به، ثم يعقب التمهيد ثلاثة مباحث، خصصت الأول للأمثال الزواج والزراعة وما يتعلق بهما، وخصصت الثاني للأمثال النصح والتحذير، وخصصت الثالث للأمثال الحظ والتفاؤل والسرور

وعدم الرضا، ثم تلي هذه المباحث خاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وأردفت ذلك كله بفهرس المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في إعداد هذا البحث. وتبعت في دراستي لهذه الأمثال في الكتاب المذكور المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي. ولم أقف على أي دراسة سابقة في الكتاب المذكور؛ فالكتاب يعد من كتب المؤلف التي ظهرت مؤخرًا.

والله الموفق

تمهيد

سيكون الحديث هنا مخصصًا للتعريف بالمؤلف، والتعريف بكتابه، والتعريف بالمثل، وذلك فيما يأتي:

1- التعريف بالمؤلف: سيكون التعريف بالمؤلف فيما يأتي:

اسمه: هو مصطفى عبد الرحيم محمد أبو عجيلة [أبو عجيلة 2001، ج2 ص187].
مولده: ولد المؤلف في مدينة مصراتة، سنة 1936م [أبو عجيلة 2001، ج2 ص187]، وقد دون تاريخ ميلاده في سجل العائلة بأنه وُلد سنة 1933م [أبو عجيلة 2023، مقابلة شخصية]، وذلك حين كان تسجيل المواليد متأخرًا عن فترة الولادة، فكان المسجل يقدر عمر الشخص على حسب كبر الجسم وصغره.

حياته ونشأته: نشأ المؤلف في بيت ريفي متواضع، وترى فيه تربية نقية، محفوفة بتعاليم الدين الإسلامي، فتعلم في سنواته الأولى مبادئ الإسلام وأركانه، وآدابه وأخلاقه، وبسبب ظروف الحياة ترك الدراسة وسافر إلى بنغازي وإلى المرج وإلى طبرق، واعتقل في المرج لمشاركته في المظاهرات ضد بريطانيا، التي أُحرق فيها العلم البريطاني، وكان ذلك في سنة 1956م، ثم توسط للإفراج عن المعتقلين لدى المحكمة؛ النائب مفتاح الشعافي الدرسي؛ فأفرج عنه وعن زملائه المعتقلين بعد أقل من أسبوع من اعتقالهم، ثم رجع إلى مصراتة لإتمام دراسته [أبو عجيلة، مخطوط: ص2].

تحصيله العلمي: بدأ المؤلف بحفظ القرآن الكريم في زاوية أحمد زروق، وكتبه حفظًا عن ظهر قلب، كما هي عادة الطلاب في ذلك الوقت، وحضر الدروس العلمية في أحكام التجويد وعلوم القرآن الكريم، وعلوم العربية والشريعة على يد العلامة الشيخ محمد مفتاح قريو - رحمه الله -، ولازمه مدة؛ فانتفع به [أبو

عجيلة 2001، ج2 ص184، أبو عجيلة 2014 ص214]، ثم انقطع عن مواصلة التعليم، قرابة عشر سنوات؛ بسبب ظروف الحياة، ثم استأنف دراسته النظامية، فتحصل على الشهادة الابتدائية بصفة منتسب، سنة 1969م، ثم الإعدادية الأزهرية من معهد القويري (فرع الأزهر بمصراتة) في السنة نفسها، ثم تحصل على إجازة التدريس العامة (الدبلوم العام) سنة 1970م، وتحصل على شهادة الثانوية العامة (القسم الأدبي)، من ثانوية زاوية الدهماني بطرابلس، في العلم الدراسي 1971-1972م، ثم تخرج في كلية الحقوق بجامعة قاريونس بينغازي، بصفة منتسب، سنة 1976م، ثم تحصل على درجة الإجازة العالية الماجستير في أصول الفقه، من كلية التربية بجامعة طرابلس، سنة 1984م [أبو عجيلة، مخطوط: ص2-3. أبو عجيلة 2001، ج2 ص185]، ثم تحصل على شهادة الدرجة الدقيقة الدكتوراه في الفقه المالكي من جامعة لندن، سنة 2013م.

شيوخه: لا شك أن المؤلف تتلمذ على يدي كثير من العلماء، ولعل من أشهرهم:

- عبد الله محمد أبو عجيلة، (1952م)، عم المؤلف [أبو عجيلة 2023، مقابلة شخصية]. [أبو عجيلة 2024، مقابلة شخصية].
 - محمد بن محمد بن منصور الزروقي، (ت1967م) [أبو عجيلة، مخطوط: ص2].
 - أحمد عمر عبد القادر أبو ليفة، (ت1982م) [أبو عجيلة، مخطوط: ص2].
 - محمد مفتاح قريو، (2000م) [أبو عجيلة، مخطوط: ص2. أبو عجيلة 2001، ج2 ص143].
 - عبد السلام محمد الحاج علي العويب، (ت2002) [أبو عجيلة، مخطوط: ص2].
 - عبد الله سويس، توفي في "أواخر الثمانينات" [أبو عجيلة، مخطوط: ص2. أبو عجيلة 2001، ج2 ص157].
 - فاتح محمد زقلام، (2022م) [أبو عجيلة 2001، ج2 ص185].
- تلاميذه: لا علم لي بمن تتلمذ على يدي المؤلف، ولا شك أنهم كثر؛ لكنني أذكر من أعرف أنه أخذ عنه وانتفع به، وهم:
- أحمد محمود أحمد بالشيخ [أبو عجيلة 2023، مقابلة شخصية].
 - الحسين مصطفى عبد الرحيم أبو عجيلة، ابن المؤلف، فقد أفاد منه، ولزمه مدة طويلة [أبو عجيلة 2023، مقابلة شخصية].

- عبد الحكيم محمد شقوف بادي [أبو عجيبة2023، مقابلة شخصية].
 - علي محمد البشير حمودة [أبو عجيبة2023، مقابلة شخصية].
 - عمر علي سليمان الباروني، كاتب هذا البحث، فقد أفدت منه كثيراً في بدايات تحصيلي العلمي الجامعي وبعده، وكان يصلي خلفي الجمعة، وكلما لحظ شيئاً نبهني عليه وناقشني فيه. وكانت تربطني به علاقة حميمة متينة، منذ أن وطئت قدماي بساط مكتبة زروق في مبناها القديم، وذلك في سنة 1985م، ودامت صحبتي وصدائقي له إلى أن توفي، رحمه الله.
 - يوسف أبو بكر الخراز [أبو عجيبة2023، مقابلة شخصية].
- وظائفه:** بدأ المؤلف حياته الوظيفية معلماً في سلك التعلم العام بمدرسة الزروق الابتدائية سنة 1969م [أبو عجيبة2001، ج2ص186]، ثم مديراً لمدرسة الزروق الابتدائية من سنة 1971م تقريباً، إلى سنة 1986م، وكان أميناً لمكتبة أحمد زروق منذ تأسيسها على يديه، سنة 1976م إلى أن توفي، رحمه الله تعالى.
- وبعد تحصله على درجة الماجستير عمل محاضراً لمادة الثقافة الإسلامية بكلية الاقتصاد بزلتين، وكذلك بكلية الاقتصاد بمصراتة [أبو عجيبة2001، ج2ص186].
- أخلاقه:** كان المؤلف ذا صلاح وتقوى وقرب من الله، زاهداً في هذه الدنيا الفانية، وكان ذا خلق رفيع وأدب جم، متواضعاً ومتسامحاً جداً، بشوشاً سهلاً هيناً، لئب الجانب، محبوباً لدى الجميع، مجالسته ممتعة مفيدة، لا يملج جليسه، تغلب عليه روح الفكاهة والدعابة، نفسه مرهفة المشاعر، وعينه سحية بالدمع، لا يستطيع كفها إذا كان في جو روحاني.
- مؤلفاته:** كان المؤلف ذكياً أليماً، شغوفاً بالقراءة والبحث والكتابة، مما أهله إلى أن يؤلف كتباً في تخصصات متنوعة في الفقه والتاريخ، وقد ترك لنا رصيذاً يُفتخر به من الكتب، منها:
- تاريخ التشريع وأصول الفقه ومسائل أخرى من التراث الفقهي، مطبوع.
 - التطور القروي، مخطوط [أبو عجيبة2023، مقابلة شخصية].
 - حقوق الطفل في الإسلام، نال جائزة إذاعة القرآن الكريم التقديرية سنة 1981م [أبو عجيبة2001، ج2ص186].
 - رحلة الألف كتاب، مفقود [أبو عجيبة2023، مقابلة شخصية].
 - سحنون وجهوده في المذهب المالكي، مطبوع.

- السيرة الذاتية، (مخطوط)، لدي منها صورة.
 - شرح العياشي على الوظيفة الزروقية، دراسة وتحقيق، مطبوع.
 - الشيخ أحمد زروق محتسب العلماء ومجدد القرن العاشر الهجري، مطبوع.
 - طرابلس عاصمة الثقافة الإسلامية، مطبوع.
 - الطفل في الإسلام، مخطوط، ولعله كتاب حقوق الطفل نفسه [أبو عجيله 2023، مقابلة شخصية].
 - العرف وأثره في التشريع الإسلامي، مطبوع.
 - فتاوى الإمام مالك وتلاميذه في بعض أحكام الصلوات المتعددة والأقوال، مطبوع.
 - فتوحات الفاروق في العراق وما وراء النهر (ذكر المعارك الكبرى كما جاءت في تاريخ الطبري)، مخطوط [أبو عجيله 2023، مقابلة شخصية].
 - قواعد في أصول الفقه والبحث العلمي الأكاديمي، مطبوع.
 - قيم ومبادئ اقتصادية في الفقه الإسلامي، مخطوط [أبو عجيله 2023، مقابلة شخصية].
 - مجلة العربي الكويتية بين الأصالة والتحديث، نظرات فيما نشر من مجلة العربي عن تاريخ التشريع وأصول الفقه ومسائل أخرى من التراث الفقهي [أبو عجيله 2023، مقابلة شخصية].
 - المدونة الكبرى، نظرات في النشأة والتطور والانتشار، مطبوع.
 - مصطلحات الاقتصاد في الفقه الإسلامي، مخطوط [أبو عجيله 2023، مقابلة شخصية].
 - من ذاكرة قرية، مطبوع.
 - من يوميات الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في الشرق [أبو عجيله 2001، ج2 ص186].
 - نسائم القرى والأرياف، مخطوط [أبو عجيله 2023، مقابلة شخصية].
 - ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا، مطبوع.
- وفاته:** بعد رحلة عامرة بالعطاء الإداري والعلمي، توفي المؤلف - رحمه الله - في مدينة مصراتة، يوم الأحد 2021/6/13م، عن عمر قارب 86 سنة، ودفن في مقبرة عبد الحليم بقرية الرملة المحاورة لقرية الزروق.

الشيخ المؤلف ومكتبة أحمد زروق: ذكر المؤلف - رحمه الله - أن من أهم أعماله هو تأسيس مكتبة أحمد زروق، وإعادة الحياة إليها على أنقاض مكتبة زروق القديمة [أبو عجيبة 2001، ج2 ص187]. فكان المؤلف حريصاً على مكتبة أحمد زروق أكثر من حرصه على أي شيء آخر؛ فهي له - إن صح التعبير - بيته الأول، أفنى في خدمتها زهرة عمره، وأكرم وأنعم بما أفنى عمره فيها؛ فهو المؤسس لها، بدأ تأسيسها بجزأين من فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، حسب ما سمعته من المؤلف - رحمه الله -، كانا في المسجد القديم، قبل المسجد الحالي، ثم انطلق يجمع لها الكتب من الدور ومعارض الكتاب التي تقام في ليبيا وخارجها، ولم يدع وسيلة لتزويد المكتبة بالكتب إلا واستعملها بحسب قدرته، حتى وصل عدد الكتب فيها حوالي مائة ألف كتاب.

رثائي للمؤلف: عندما سمعت خیر موت المؤلف - رحمه الله - لم يكن بيدي إلا الاسترجاع والترحم والدعاء بالاستخلاف، ونظمت فيه قصيدة رثاء، قلت فيها:

- 1- عَبْتًا أَحَاوِلُ كَفَّ عَيْنِي عَالِبُكَ **** في فَقْدِ بُوعَجِيلَةَ سَمِيَّ الْمُصْطَفَى
- 2- لِثَلَاثَةِ مَعِ عَشْرَةٍ مِنْ سِتَّةِ **** إِحْدَى مَعَ الْعَشْرِينَ وَالْفَيْنِ الْوَفَا
- 3- خَبْرٌ أَتَاهَا فَالْدُمُوعُ هَوَاطِلُ **** حُزْنَا عَلَى مَنْ مِثْلُهُ لَنْ يُخْلَفَا
- 4- فِي الْجِدِّ وَالْإِخْلَاصِ كَانَ مَنَارَةً **** هَشٌّ بِشُوشٍ لَمْ يَكُنْ مَتَعَجِرِفَا
- 5- ذُو فَطْنَةٍ وَدُعَابَةٍ وَتَقَافَةٍ **** فِي الْعِلْمِ وَالْأَخْلَاقِ نَهَجٌ يُفْتَقَى
- 6- ذُو دَمْعَةٍ ذُو عَبْرَةٍ ذُو رِقَّةٍ **** عَيْنَاهُ تَدْرِفُ لَا تُرِيدُ تَوْقَفَا
- 7- فِي الزُّهْدِ عَاشَ وَلَمْ يَكُنْ مَتَنَعِمًا **** مَا كَانَ يَرْضَى بِالنِّرَاءِ تَعَفُّفَا
- 8- قَدْ كَانَ ذَا رَأْيٍ حَصِيفٍ ثَابِتٍ **** فِي الْجِلْمِ يَعْدِلُ مَنْ عَرَفْنَا أَحْنَفَا
- 9- جِصْنٌ أَمِينٌ لِلْكِتَابِ مُصَاحِبٌ **** مَكْتَبَةُ زُرُوقِ حَمَاهَا مَا غَفَا
- 10- قَدْ بَاعَ دُنْيَاهُ لِخِدْمَةِ كُتُبِهَا **** حَتَّى يُوفِّي حَقَّهَا وَلَقَدْ وَفَى
- 11- يَا شَيْخَنَا قَدْ كُنْتَ فِيهَا حَارِسًا **** وَحَبَاكَ رَبِّي أَنْ جُعِلْتَ الْمُشْرِفَا
- 12- تَبْكِيكَ كُتُبٌ فِي الرُّفُوفِ لِمَسْتَهَا **** فَقَدَتْ أَرْبِحَ الشَّهْدِ لَنْ تَتَرَشَّفَا
- 13- وَالطَّالِبُونَ تَرَكَتْهُمْ فِي مَهْمِهِ **** لَنْ يَسْمَعُوا الصَّوْتَ الْحُنُونَ تَعَطَّفَا
- 14- تَبْكِيكَ دُورُ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِهَا **** زُرُوقُ جَمَعَا صَارَ قَاعًا صَفْصَفَا
- 15- مُصْرَاتَةٌ بَنَجِيلَهَا وَرِمَالِهَا **** حُزْنَا نَيْنٌ لِفَقْدِهِ وَتَأْسَفَا

- 16- قَدْ خَطَّ بِالْقَلَمِ الْعُلُومَ مُدَوِّنَا **** أَكْرَمُ بِمَا قَدْ خَطَّ أَوْ مَا أَلْفَا
- 17- مَوْرُوثٌ مَنْ سَبَقُوا بِهِ مُتَعَلِّقٌ **** مِنْ حِفْظِهِ يَرُوي وَلَيْسَ مُحَرِّقًا
- 18- ذَاكِرَةٌ قَرَيْتِهِ الَّتِي يَزْهُو بِهَا **** سُحْنُونُ شَيْخِ الْمَالِكِيَّةِ مَا خَفَى
- 19- طَرَابُلُسُ عَاصِمَةُ التَّقَافَةِ خَصَّهَا **** هَذَا الْكِتَابَ فَمَا أَرَقَّ وَالْأَطْفَا
- 20- زُرُوقٌ أَحْمَدُ سَيْرَةٌ مَرْوِيَّةٌ **** وَالْعُرْفُ فِي الْقُرْآنِ بَدَأَ صَنَفَا
- 21- هَذِي هِيَ الدُّنْيَا كَظَلِّ زَائِلٍ **** تَمْضِي وَيَمْضِي ظِلُّهَا لَا تَأْسَفَا
- 22- فَالْيَوْمَ تَتْرُكُ سَيْرَةَ مُحَمَّدٍ **** كَالْبَدْرِ أُعْطِيَ نُورَهُ ثُمَّ اخْتَفَى
- 23- وَشَدَا خِصَالِكَ فَاحِ نَشْرُ عَبِيرِهَا **** وَكَذَلِكَ كُلُّ الصَّالِحِينَ وَمَنْ صَفَا
- 24- بِاللَّهِ يَا قَبْرًا حَوَى جُثْمَانَهُ **** رَفِيقًا بِهِ قَدْ عَاشَ فِينَا مُرْهَمَا
- 25- يَا حَائِطَ الْقَبْرِ الْمَهِيْبِ اسْتَنْشِقْنَ **** مِسْكًَا تَضَوَّعَ كُنْ بِهِ مُتَلَطِّفَا
- 26- يَا رَبِّ عَطَّرْ قَبْرَهُ مِسْكًَا شَدَا **** أَرْسِلْ عَلَيْهِ كُلَّ حِينٍ حَرَجَمَا
- 27- يَا رَبِّ فِي الْفِرْدَوْسِ أَكْرَمُ نَزْلُهُ **** وَاجْعَلْهُ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ مُشْرِفَا
- 28- يَا رَبِّ وَاجْمَعْنَا بِهِ فِي حِنَّةٍ **** جَمْعًا كَيْعُقُوبَ النَّبِيِّ بِيُوسُفَا

2- التعريف بالكتاب: يُعدّ الكتاب من الكتب النادرة في الموروث الشعبي، فهو مرجع مهم جداً لمن أراد التعرف أو التأليف في تاريخ المجتمع الليبي وعاداته وثقافته، وموروثه الشعبي، وبخاصة قرى مدينة مصراتة.

وقد قسم المؤلف كتابه إلى توطئة وتمهيد، بين فيه أنه سيذكر ما لاحظته وعلمه من حياة أهل القرية وعاداتهم وتقاليدهم وموروثهم، وأنه لا يدعي ذكر كل الأحداث والموروث القروي؛ وإنما يذكر ما عاشه من ذكريات قريته، والذي ربما يصدق أغلبه على كل القرى، وقد تبرأ من أن يكون مُنظراً أو مفتياً أو مقويّاً لقول أو مضعفاً لآخر.

ثم قسم الكتاب إلى قسمين كبيرين، خصص القسم الأول للعادات والعلاقات الاجتماعية، فذكر فيه ما يسبق الأفراح من العادات، وما يفعله الناس من عادات في الأفراح، وما يفعله الناس بعد الفرح، ثم تطرق للعادات التعاونية في المجتمع القروي، من زراعة الأرض، وبناء التنانير والبيوت، وذكر الألعاب الشعبية التي كانت سائدة في القرية.

وخصص القسم الثاني من الكتاب للثقافة والأدب والأخلاق، فتحدث عن الشيخ أحمد زروق وزاويته العلمية، وأثرهما في الحياة الثقافية، وتطرق إلى الأحواء الصوفية، والأدب الشعبي وفلسفته الأخلاقية والاجتماعية، ثم انتقل إلى الحديث عن زراعة القصب، ونظام الحياة الأسرية في القرية، وما تعانيه الأسرة من الفقر والعوز، ثم يختم كتابه بخاتمة لخص فيها ما جادت به قريحته في قسمي الكتاب.

3- تعريف المثل: يشتمل هذا المحور على تعريف لغوي وآخر اصطلاحى للمثل، وكذلك فائدته، وبيان ذلك في الآتي:

أ- المثل في اللغة:

قال ابن منظور: "المَثَلُ والمَثِيلُ: كالمَثَلِ، وَالْجَمْعُ أمثالٌ، وَهُمَا يَتَمَثَلَانِ...، والمَثَلُ: الحديثُ نفسه...، وَقَدْ مَثَلَ بِهِ وَامْتَثَلَهُ وَتَمَثَّلَ بِهِ وَتَمَثَّلَهُ...، والمَثَلُ: الشَّيْءُ الَّذِي يُضْرَبُ لِمِثْلِهِ مِثْلًا فَيَجْعَلُ مِثْلَهُ" [ابن منظور 1414ه: مثل].

ب- المثل في الاصطلاح:

عُرِّفَ المثل اصطلاحاً بتعريفات كثيرة، فقول: "إنه القول الوجيز المرسل ليعمل عليه" [ابن الأثير 1420ه، ج1ص42]، وقيل: "إنه القول السائر المشبه مضربه بمورده، وقيل: هو قول مركب مشهور شبه مضربه بمورده" [اليوسي 1981 ج1ص20].

وقد أوضح الراغب الأصفهاني المثل بأنه عبارة عن قول يقال في وقوع شيء يشبه شيئاً آخر، بينهما مشابهة؛ لأجل أن يبين أحدهما الآخر ويصوره بصورة السابق [الراغب 1412، ص759].
والأمثال جنس أدبي يتسم بالإيجاز- غالباً- والقبول، ويشتهر بالتداول بين الناس، ويشترط في نقلها أن تنقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح مطابقة قصده بها، من غير تغيير أو تقديم أو تأخير يلحقها في لفظها وكلماتها [السيوطي 1998 ج1ص375، واليوسي 1981، ج1ص20، والحمزاوي، بلا، ص9].

وللمثل مورد، وهو المحل الذي ورد فيه المثل أول ما تُنطق به، وله مضرب وهو المحل الذي يضرب فيه المثل الآن [اليوسي 1981 ج1ص20].

أقول: وله وجه شبه يجمع بين المورد والمضرب، وهو ما من أجله أعيد التلطف بالمثل ثانياً، فـ"تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها" [اليوسي 1981 ج1ص20-21].

فَضْرُبُ المثل هو إنشاء ألفاظ المثل الأصل التي يتم بها تقدير الحكمة أو الصفة أو الحجة أو نحوها للمخاطب، أو تقدير المشاهدة التي يتوصل المخاطب بالمقايسة والمقارنة والاعتبار بها إلى استخلاص البرهان والعبارة من المثل المضروب [الجربوع 2003 ج1 ص89]؛ فـ"يراعى في معنى الضرب ما ينتج عنه من تلقيح الأفكار والخواطر وإحصائها، أو لما يتولد عنه من النتائج" [الجربوع 2003 ج1 ص91].

ج- فائدة المثل: أما فائدة المثل فينقل السيوطي عن الفارابي في ديوان الأدب أنه قال: "المثل ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه، حتى ابتدئوا به فيما بينهم، وفاضوا به في السراء والضراء، واستندروا به الممتنع من الدرّ، ووصلوا به إلى المطالب القصية، وتفرجوا به عن الكرب المكربة، وهو من أبلغ الحكمة؛ لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصّر في الجودة أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة" [السيوطي 1998 ج1 ص375-376].

فالمثل هو صورة صادقة لحياة الشعوب؛ إذ فيه خلاصة الخبرات العميقة التي أفرزتها المواقف الحياتية عبر السنوات الطويلة من حضارتها، والمثل كذلك هو الخلاصة المركزة لمعاناة هذه الشعوب وشقاؤها وسعادتها وغضبها ورضائها، ففيها مختلف التعبيرات التي تمثل حياة مجتمعها وسلوكياتها وعلاقات أفرادها بعضهم ببعض [الحمزاوي، بلا، ص ص73، 166].

المبحث الأول

(أمثال الزواج والزراعة وما يتعلق بهما)

المطلب الأول- أمثال الزواج وما يتعلق به:

((عَمَّارٌ كُونٌ))

هذا المثل يضرب لمن يُقَدِّم على الزواج، وهو نوع من التهنتة والمباركة المزوجة بالتفاؤل، فيُذَكَّر المتزوج بأن عمله هذا فيه إعمار للكون، واستخلاقاً لله في الأرض؛ لأن الكون بلا زواج لا يمكن أن يُعَمَّر، ولا أن يُحَافَظ على دوام النسل البشري.

وقد أورد المؤلف هذا المثل عند حديثه عن معايير الجمال في اختيار الزوجة، وذكر أنها "معايير نسبية، وتختلف من إنسان إلى آخر...، فإن ما يُعَدُّ أحدهم قمة الجمال فقد يراه آخر متوسطه، وربما أقل من ذلك، والعكس صحيح، وهذه رحمة من الله ————— تعالى حتى لا تبقى فتاة ليست

بالغة الجمال بدون زواج، أو فتى لا تميل إليه النساء بدون زوجة (عمار كون) "أبو عجيبة" [2019 ص31]، فالكون لا بد أن يعمر؛ لذلك سخر الله لكل إنسان نصيبه من الجنس الآخر.

((ابْحَثْ لَوْلَدِكَ عَنْ خَالٍ))

هذا المثل يضرب لمن يبحث عن زوجة لابنه، فيذكر بأن يُحْطَب ذات الأصل الشريف والسمعة الطيبة؛ لأن إخوتها سيكونون أحوالاً لأبناء ابنه؛ فلا بد أن يختار لهم أحوالاً لهم الأصل الشريف والصيت الطيب.

وقد ذكر المؤلف هذا المثل عند الحديث عن القيم الأخلاقية للأسرة وعلاقتها بالمجتمع، وما لها من أثر كبير في الإقبال على الأسرة المحمودة أخلاقياً، حتى قيل في شأنها: (ابْحَثْ لَوْلَدِكَ عَنْ خَالٍ) "أبو عجيبة" [2019 ص32]، والذي أحفظه: (دَوَّرْ لَوْلَدِكَ عَلَيَّ خَالٍ).

((الثُّلَاثَانُ لِلْخَالِ وَالْخَالِ وَالِدٍ))

هذا المثل يضرب لمن ينوي الزواج ويبحث عن زوجة لائقة، فيذكر بأن حسن الاختيار ضروري؛ لأن الأبناء ثلثا الصفات التي سينشؤون عليها ستكون وراثية من أصل الأحوال، والخال في مقام الوالد، فلا بد أن يكون أهلاً لهذا المقام.

ولما كان من المتوقع أن يرقى الخال إلى منزلة الوالد؛ فمن الممكن أن يأخذ الولد منه كثيراً من الصفات والطباع [مغنية 1424 ص65].

وفي بعض الروايات - وهو الذي أحفظه -: (الثُّلَاثِينَ لِلْخَالِ وَالْخَالِ وَارِثٌ)، وهذا يدل على شدة قرابة الخال، حتى إنه يدخل ضمن الورثة، وهذه الرواية يؤيدها قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (الْخَالُ وَارِثٌ مَنْ لَأَ وَارِثٌ لَهُ) [أبو داود، بلا، ج2 ص137 ح2899].

وقد أورده المؤلف عند حديثه عن القيم الأخلاقية في اختيار الزوجة، وأن الناس يبحثون عن ذات الخلق؛ وأنهم "بالغوا في أهمية العرق والعراقة... في الأحوال، حتى جعلوا الأحوال أكثر أثراً في تكوين الجنين من أثر الجهة الأبوية أو الصلبية" [أبو عجيبة 2019 ص32].

ثم نوّه المؤلف عن الحكمة من هذا المثل، وهي ردع الشباب عن الانحراف؛ لأن لكل الناس بنات وأخوات، وهذا يجعل مرتكب الفاحشة يستحضر تلك البنت أو الأخت؛ فيكون له رادع قوي عن الإقدام على ما حرم الله" [أبو عجيله 2019 ص32].

((شُرُوطُ النَّسِيبِ الْكَارَةِ))

هذا المثل يضرب لمن يُقصد في عمل ما، فيشترط شروطاً كثيرة ويصعب تحقيقها؛ لغرض التهرب من القيام بما طُلب منه.

وذكره المؤلف عند الحديث عما يسبق أفراح الزواج من خطوبة ونحوها، فعندما لا يرغب ولي الأمر في تزويج ابنته، أو من يتولى أمرها، يشترط شروطاً تعجيزية للمتقدم للخطوبة، فيبالغ في المهر وشروط العرس وما يتعلق ببعض الحياة المعيشية فيما بعد الفرح؛ لأجل صرف هذا الشخص عن الزواج من ابنته" [أبو عجيله 2019 ص37].

المطلب الثاني- أمثال الزراعة وما يتعلق بها:

((حَرْتِ اِغْطَاصٍ تَزْرَعُ طَاصٌ تُحْصَلُ طَاصٌ مَا بَيْنَ الطَّمَعِ وَالْيَاسِ))

هذا المثل يضرب لمن يقوم بعمل ما فيُذكَرُ بأن ما يقدمه ستكون نتيجته بقدر ما قدمه، قليلاً أو كثيراً.

وذكره المؤلف عند الحديث عن التبكير والتأخير فيه إلى انتهاء الموسم، وهذا لا يقبل على المجازفة بالزرع فيه إلا بعض الفلاحين، وهو ما ضرب من أجله هذا المثل، فإن زرع الزارع كيل طاس أو قنطار فسيحصل على حبوب بقدر ما زرع، وهكذا، وهذا كله بين أمرين؛ إما أن يحصل على محصول بقدر ما زرع، وإما يضيع فلا يتحصل على قدر ما زرع، أو لا يتحصل على شيء، فهو بين الطمع واليأس من هذا المحصول" [أبو عجيله 2019 ص136]، ولعل مغزى هذا المثل يتطابق مع مغزى المثل القائل: (أَعْطِي لِلْبُرْمَةِ تَعْطِيكَ).

وفي رواية أخرى للمثل: (حَرْتِ اِغْطَاصٍ اِرْمِي طَاسٌ تَلْقَى طَاسٌ، وَالْأُ صَابَةٌ مِنْ غَيْرِ قِيَاسٍ)، ويعني بالغطاص هنا المغامر الذي يغطس تحت الماء بما أتيج له من وسائل للغطس في أعماق البحار؛ بحثاً عن الإسفنج أو غيره من الكنوز، وعمله مرتبط بالنصيب فقد يلقي طاسه أو آتته التي

يستخرج بها ما شاء إخراجها، فيرجع إليه فارغاً، وقد يعثر على كنوز، وليس في هذا المثل وفحواه روح الاتكالية؛ بل هو تصوير لحقيقة البحر وحياة الغطاس [المصري 1982 ص 158]، وتتفق الروايتان في أن المحصول بقدر المزروع، وأحياناً يأتي وافراً من غير كيل وقياس.

((حَرْثَةٌ وَكَا وَرَثَةٌ))

هذا المثل يضرب للحث على العمل والسعي مبكراً؛ لأن "الثروة... كانت عن طريق الزراعة والحراثة، [أو] الإرث والوراثة، أو السفر والتجارة" [المصري 1982 ص 300، ومغنية 1424 ص 284]، وقد ذكر المؤلف هذا المثل عند حديثه عن موسم الحرث، وأن التبكير فيه وحصاده وجني ثماره مبكراً قد يجعل صاحبه من الأغنياء، فربط المؤلف بين الغنى والعمل مبكراً. بمن يزرع في أول الموسم المعتاد نزول المطر فيه متتابعاً؛ لأن محصوله "يصادف وقت حصاده نفاذ مخزون كثير من الناس من الحبوب التي ادخروها، فيكون سعر الحبوب عند ذلك مرتفعاً جداً، ومن ثم فقد يتحقق لصاحبه أمران هامان، هما: وفرة في المحصول، وارتفاع في الثمن...، حتى ربما أدخله ذلك في عداد الأغنياء، ولقد جرى المثل عندهم في أسباب الغنى (حَرْثَةٌ وَكَا وَرَثَةٌ)، عندما يرون أحداً اغتنى فجأة...، هذان هما مصدر الثروة، وليس سرقة الملايين وأكل حقوق الفقراء" [أبو عجيل 2019 ص 135-136]، فالمؤلف قد ربط بين مغزى المثل وما هو حاصل من بعض الأشخاص الذي سرقوا ما تمكنوا من سرقته.

((حَرِثِ الثُّوتَ إِمَّا يَغْنِي وَإِمَّا يُمُوتُ))

هذا المثل يضرب لمن يقدم على عمل شيء غير مضمون النتيجة؛ لانعدام أسباب النجاح، كالغرس في غير الزمن المناسب، ونحو ذلك. وذكره المؤلف عند حديثه عن مواسم زرع الحبوب، التي منها موسم يأتي مبكراً جداً، ويكون في أواخر فصل الصيف، ومطلع فصل الخريف، والحرث في هذا الموسم مجازفة ربما تنجح وربما تفشل؛ "لأن موسم نزول الأمطار المعتادة والفصلية، وهيئ المناخ للمزروعات الشتوية لم يأت بعد؛ بل ما زال بعيداً جداً؛ لأنه لا يأتي إلا بعد مرور نحو ستين يوماً من الخريف، زيادة عن احتمال استمرار ارتفاع درجة الحرارة التي قد تتلف النبات الغض، وبخاصة إذا لم يتتابع نزول المطر" [أبو عجيل 2019 ص 135، ومغنية 1424 ص 312].

((إِنْ كَانَ مَا جَابَهَا أَيْنَارٌ بُوَ الْعَوَائِدُ مَا يُجِيبُهَا فُرَارَ اللَّيْلِ مُقَابَلَاتًا صَهَائِدًا))

هذا المثل يضرب لمن كُلف بإنجاز عمل وقد فشل في إنجازه، على الرغم من إمكانياته التي تؤهله للقيام به، ثم يكلف آخر لإنجازه وهو أقل إمكانيات من سابقه، فيقال: لم يستطع إنجازه من لديه الإمكانيات على إنجازها فما بالك بمن ليس له من هذه الإمكانيات شيء.

وذكره المؤلف عند حديثه عن موسم الحرث وما يتعلق به من أوقات نزول المطر وحرث الأرض، وأن من شهور السنة ما هو فحل الفصل، وشهر (أَيْنَارٌ = يَنَائِرٌ) من أكثر الشهور نزولاً للمطر، حتى سمي هذا الشهر بفحل الشتاء، وإذا لم يتزل المطر في هذا الشهر عرف الفلاحون - بحكم العادة - أن الشهور التي تلي هذا الشهر سيكون نزول المطر فيها ضعيفاً جداً، وحسب اعتقادهم أنه إذا لم يأت بها أينار الذي من عوائده نزول المطر فيه بغزارة، فلن يأتى بها الشهر الذي يليه وهو (فُورَارٌ = فَيْرَائِرٌ)، وهو الشهر الذي يقلُّ أو ينقطع فيه نزول المطر، بل وينبئ بقرب حلول الصيف "أبو عجيبة 2019ص138]. فشهر أينار وفورار من الشهور المهمة عند الفلاحين [قادر بوه 1428ص 29، 297، 317-318]. والصهد: شدة الحرارة [الزبيدي، بلا: صهد].

((الْقَصْبُ يَخْرُجُ مِنَ الْعَظْمِ))

هذا المثل يضرب فيمن لا يشعر بأهمية شيء ما لا يعرف صعوبة ومشقة الحصول عليه أو الوصول إليه، وأن تحقيقه يحتاج إلى صبر وتحمل كبيرين. وذكره المؤلف أثناء حديثه عن كيفية إنبات القصب وسقيه؛ لأن القصب ليس بالسهل نباته والحصول على حبوبه، وهذا المثل نابع من معاناة الفلاحين في زراعة هذا النوع من الحبوب "أبو عجيبة 2019ص463].

((أَثْرُكَ عَدُوُّكَ يَنْقِيلُكَ قَصَبِكَ))

هذا المثل يضرب فيمن تغلب عليه العاطفة في تحقيق شيء ما، كتطبيب ونحو ذلك، فإن العاطفة والتساهل لا يجديان في مثل ذلك، فيكلف من بينه وبين المريض - مثلاً - عداوة، حتى يقطع أو

يخلع العضو المريض؛ لأنه لن يعطف على المريض؛ بل ربما سنحت له الفرصة للانتقام من المريض؛ ولكن فسوته في صالح المريض.

وذكره المؤلف عند حديثه عن زراعة القصب ومتابعة نموه، وبعد أن يكبر هذا النبات ويستوي عوده يضطر الفلاح إلى تفريدها وإبعاد بعضها عن بعض، فيقتلع الكثير منها حفاظاً على ما تبقى لتنمو نمواً جيداً، والفلاح أثناء ذلك يشفق على قلع بعض نباتات القصب؛ لأنه عانى كثيراً من أجل زراعتها، حتى قالوا هذا المثل الذي يؤكد على ضرورة تفريد نباتات القصب، والعدو لا يأخذ شفقة ولا رافة في قلع هذه النباتات، فأشاروا بتكليفه ليقوم بهذه المهمة" [أبو عجيبة 2019 ص 464-465].

((سَلَفِ الْمَيْدَةَ لِلجَائِيَةِ))

هذا المثل يضرب لمن يريد الاقتراض من غيره وهو لا يرد ما استلف؛ لأن هناك من الناس من يقترض ولا يرد فإذا أراد أن يذكر المقترض قال له: لا تتأخر علي في الرد، وأن يرد ما اقترض عند حلول الأجل، ولا يكون كسلف الميدة للجائبة، الذي ربما لا يستوفيه أبداً" [مغنية 1424 ص 283].

وذكره المؤلف عند تكلمه على زراعة القصب، وكيفية سقيه (الجبادة)، وآلة السقي في ذلك الوقت، وهي البقرة التي تخرج الماء من البئر، فعند وصول الدلو إلى حافة البئر يصب في الحوض الصغير المسمى (الميدة)، تتجمع فيه المياه، وهي تعطي للجائبة بواسطة قناة تسمى الماقول، فما يصل إلى الجائبة من الميدة لا يرجع إلى الميدة، فضرب هذا المثل للشيء الذي يعطيه الإنسان إلى آخر سلفاً ولا يرده إلى صاحبه" [أبو عجيبة 2019 ص 470].

المبحث الثاني

(أمثال النصح والتحذير)

المطلب الأول- أمثال النصح:

((تَعَشَّى وَتَمَشَّى وَلَوْ خُطَوَاتٍ))

هذا المثل يضرب لمن يتناول وجبة العشاء ثم ينام أو لا يتحرك بعد ذلك، فيُذَكَّر بأن وجبة العشاء لا بد من الحركة بعدها، حتى يحرق الجسم مكونات الطعام، ويسهل هضمه على المعدة. والمثل

الذي أحفظه: (تَعَشَّى وَتَمَشَّى وَتَغَدَّى وَتَهَدَّى)، فلم يحث على المشي بعد الغداء؛ بل حث على الراحة؛ لأن بعد الغداء هناك حركة وعمل في عشية هذا اليوم. وذكره المؤلف عند الحديث عن نظام الأكل عند الأسرة القروية، وأن أهل الريف على معرفة ببعض القواعد الصحية، فمن ذلك أنهم "كانوا يوصون بعدم النوم بعد تناول وجبة العشاء مباشرة؛ بل لا بد على من تعشَّى أن يتمشَّى ولو قليلاً" [أبو عجيبة 2019ص484].

((الْحِمْلُ الْمَوْزَعُ خَفِيفٌ))

هذا المثل يضرب للتعاون في بعض الأعمال الشاقة والصعبة، فأحياناً لا يتمكن المرء من إنجاز عمل بمفرده وإن تمكن فبجهد كبير جداً؛ لكن إذا ساعده فيه أحد سهل إنجازه وبسرعة أيضاً. ويروى المثل برواية أخرى، هي: (حِمْلُ الْجَمَاعَةِ رِيشٌ). وذكر المؤلف هذا المثل ضمن التكافل الاجتماعي الذي تظهر فيه رابطة المجتمع، وذلك عندما تصاب (الفريسة) وهي البقرة التي كانوا يخرجون بها الماء من البئر، وهو ما يسمى عندهم بـ(الجبادة)، فحين تمرض هذه البقرة ويكاد صاحبها يخسرها "يعوض ببعض ثمنها، وربما نال ثمنها وكأنه باعها سليمة" [أبو عجيبة 2019ص200]، ثم أردف ما يظهر حسن صنيعهم بهذا المثل الشعبي.

((دِيرُ لَفْمَكُ خَمَّاسٌ))

هذا المثل يضرب لمن يتكلم بما لا يحسن الكلام فيه، فيطلق لسانه ليعبر كيف شاء، ومتى شاء، فيتصدى له النقاد بأن يجعل لفمه- ويقصدون لسانه- من يضبطه من المتخصصين عند الحديث. وذكر المؤلف هذا المثل عند الحديث عن سقي القصب، وأن السقي في الصباح الباكر أفضل للقصب، ولجميع النباتات؛ بل وللساقى نفسه، وذكر أن هذا الساقى ربما يسمى بالخمَّاس، أي: المهندس، الذي يقوم بتسوية الأرض وجدولتها" [أبو عجيبة 2019ص465]. قلت: وربما جاءت التسمية من جدولة الأرض أخماساً، فليل للذي لا يزن كلامه: "اجعل لفمك مهندساً؛ ليختار لك الكلام الحسن الذي يمكن أن تقوله دون أن يكون له مردود سيء عليك، يقال هذا للذي لا يحسن التكلم" [أبو عجيبة 2019ص475].

المطلب الثاني- أمثال التحذير:

((أَقْصِرْ مِنْ وَقْرَةٍ مِشْمَاشٍ))

هذا المثل يضرب للشيء ينتهي بسرعة كبيرة، مثل موسم فاكهة المشمش الذي لا يدوم سوى بضعة أسابيع.

وقد ذكره المؤلف عند حديثه عما يؤكل من فواكه في فصل الصيف، والتي من بينها (المشمش)، وذكر "أنه لا يدوم طويلاً، حتى ضُرب بقصر مدة بقاء جنينه المثل" [أبو عجيله 2019 ص 489].

وفي هذا المثل تحذير من إضاعة الوقت؛ لأن الزمن يمضي بسرعة شديدة، فما يُظن أنه بعيد المدة هو في الحقيقة قريب، وتمضي أيام موعد حلوله بسرعة كبيرة.

((يُتْرَكُهَا بِالْعَيْنِ وَيُطَارِدُهَا بِالْجُرَّةِ))

هذا المثل يضرب لمن يترك الأمر ويهمل في متابعته وهو يراه بعينه، ثم بعد أن يغيب عن عينيه يستدرك ويحاول متابعته جاهداً بعد أن كان الأمر تحت نظره ويسهل تتبعه، لا أن يتتبع بالتقفي وهو التعرف على أثر الأقدام، وهو ما يعرف عند العرب بالقيافة [ابن منظور 1414: قوف].

وهذا المثل ذكره المصراقي بلفظ ((سَيِّبَهَا بِالْعَيْنِ وَتَبَّعَهَا بِالْجُرَّةِ))، وقال: "يماثل: (أُطْلِقَ الطَّيْرَ وَاجْرِي تَحْتَهُ)، يترك هاملاً ما في يده، ويبحث عنه بعد فوات الأوان وضياع الفرصة" [المصراقي 1982 ص 49]، والذي أحفظه: ((أُتْرِكُهَا بِالْعَيْنِ وَتَبَّعَهَا بِالْجُرَّةِ)).

وقد أتى المؤلف بهذا المثل عند حديثه عن لعبة (المَحَجِّج)، وربما تسمى (العَقَّيْلَة) أو (الوابيس) في بعض المناطق، وقد ربط المؤلف بين نتيجة هذه اللعبة وما يترتب على الإهمال الذي يرتكبه اللاعبون فيها بما "يرتكبه بعض الناس، وربما بعض الدول، وذلك بتغافلهم عن القيام بالمهام الضرورية؛ لصيانة أمتهم، وحفظ حياتهم، حتى إذا دامهم الخطر أخذوا يحاولون درأ ذلك الخطر، حيث يكلفهم كثيراً من الوقت والجهد والخسائر؛ بل قد يصل الأمر إلى ما لا يستطاع معه منع المتسللين من الوصول إلى الأهداف المهمة في البلد حتى مع تلك الخسائر" [أبو عجيله 2019 ص 254]، وهذا ربط تربوي وإصلاح، وحس أممي، فيه النصح والتحذير [أبو عجيله 2019 ص 254].

((لَا هُوَ بِمَشِيَّتِهِ وَلَا بِمَشِيَّةِ الْحَمَامَةِ))

هذا المثل يضرب لمن يقلد غيره في أمر لا يتقنه حتى إذا فشل في تقليده وأراد أن يرجع إلى سابق عهده لم يستطع؛ فلا هو تحصل على ما أراد تقليده ولا هو متمكن مما كان عليه قبل، وأصل المثل لطائر صغير يعرف عندنا بطوير القصب وفي بعض مناطق مصراتة يعرف بالزرزور، أراد أن يقلد الحمامة فلم يستطع فأراد الرجوع لمشيته التي خلقه الله عليها فلم يستطع فصار يقفز قفزاً.

وقد أورد المؤلف هذا المثل عند حديثه عن كيفية حماية نبات القصب من الطيور، والتي من بينها (الزرزور) أو (طوير القصب)، وذكر بعض الوسائل لطرده، فعرف بهذا الطائر في هوامش الفصل، وأورد قصة مشيته الغريبة التي نراه عليها، وأنها مشية حدثت له بعد أن أراد تقليد الحمامة فلم يستطع، وعندما أراد العودة إلى مشيته التي خلقه الله عليها لم يستطع، فلا هو بمشيته الأولى ولا هو بمشيته الحمامة التي أراد تقليدها في مشيتها، وذكر المؤلف أن في المثل "كناية عن التعريض بمن يحاول أن يتجاوز مكانته بدون استعداد لذلك" [أبو عجيبة 2019ص477].

وهناك من يجعل بدل الزرزور الغراب؛ لأن من أفراد المجتمع من "يمقتون الغراب مقتاً شديداً، ويرون أنه من أحبث الطير وأشأمها، ويعللون اضطراب خطواته" [مغنية 1424ص352] بقصة هذا المثل، "الذي يحذر من التقليد الأعمى" [مغنية 1424ص352].

((الْوَقْفُ وَكَيْلَةُ أَوْ حَارَسَةُ جَبْرِيلَ))

هذا المثل يضرب لمن يحاول الاستيلاء على الحبس، سواء بالحيازة أو بالشراء أو ما شابه ذلك، فيذكر المتعدي بأن الحبس موكل به جبريل - عليه السلام -؛ ليرتدع عن إقدامه لأخذ الحبس بأي طريقة، وكذلك يضرب لمن يتجرأ على أكل المال العام؛ لأن المال العام أو مال الدولة كالحبس.

وقد ذكر المؤلف هذا المثل عرضاً عند حديثه عن بناء التناير، وأن بناءها يكون وفق أسس وضوابط وقوانين هندسة التناير؛ إلا أن بعضها ينهدم قبل إتمام بنائه، فتذكر بعض النسوة علة هدمه ويربطن "القضية بالدين، حيث تقول إحداهن: إن السبب هو أن الطين أخذ من أرض الحبس أو الوقف، ومعروف عندهن أن الوقف وكيلة أو حارسة جبريل" [أبو عجيبة 2019ص145].

وقد ذكر لنا شيخنا عمر سالم البيبي - رحمه الله - مرة أنه لم يجد لهذا المثل أو الأثر أصلاً، وفي اعتقادي أن هذا المثل دخله شيء من التحريف في ضبط كلمة (الحبس)، فأصلها بفتح الحاء وسكون

الباء، أي: (الحَبْس) وهو الإيقاف [ابن منظور 1414: حبس]، وليس (الحُس) وهو وقف الشيء [الفيروزآبادي 2005: حبس]، ولعل بعض عامة الناس سمع أحد المشايخ يتحدث عن الدعاء وما يتعلق به، فذكر أن جبريل موكل بحَبْس الدعاء؛ ففي الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (إِنَّ جِبْرِيلَ مُوَكَّلٌ بِحَاجَاتِ الْعِبَادِ، فَإِذَا دَعَا الْمُؤْمِنُ قَالَ اللَّهُ: يَا جِبْرِيلُ، إِحْبِسْ حَاجَةَ عَبْدِي؛ فَإِنِّي أُحِبُّهُ، وَأُحِبُّ صَوْتَهُ، وَإِذَا دَعَا الْكَافِرُ قَالَ اللَّهُ: يَا جِبْرِيلُ، إِقْضِ حَاجَةَ عَبْدِي؛ فَإِنِّي أُبْعِضُهُ، وَأُبْعِضُ صَوْتَهُ) [البيهقي 2003 ج13 ص370 ح10283]، والله أعلم.

((بَاتٌ فِي الدَّبَاغِ لَيْلَةٌ أَصْبَحَ قَرِيبَةً))

هذا المثل يضرب لمن يدعي أنه على درجة عالية في علم أو فهم أمر ما، وهو لم يأخذ هذا الأمر أخذًا جيدًا، فيظن نفسه أنه متمكن فيه، وهو لا يعرف فيه شيئًا [أبو عجيله 2019 ص473]. والذي أحفظه: (بَاتٌ لَيْلَةٌ فِي الدَّبَاغِ صَبِيحٌ قَرِيبَةٌ)؛ وفي هذه الرواية تقدم الليلة، وهي المقصودة بمغزى المثل.

وذكره المؤلف عند حديثه عن كيفية صنع الدلو وكيفية دبغ الجلد الذي يصنع منه، حيث يمكث الجلد تحت التحفيف البدائي بحشوه ببعض أوراق الأشجار وتقليبه بين الحين والآخر، مع ضربه بالعصا، ويحتاج لأجل ذلك مدة إلى شهرين أو أكثر [أبو عجيله 2019 ص454]، "حتى يكون متينًا، ولا يكون قربة صالحة لحمل الماء إلا بذلك، ومن هنا جاء المثل للمتعجل في الأمر الذي يحتاج إلى مدة طويلة لإيجازه، وقد أسقط المؤلف مضرب هذا على أولئك الذين لا يعرفون من العلم إلا جلوسهم يومًا وليلة في حلقاته، أو سماعهم بضعة دروس مسجلة صوتيًا، ثم يعدون أنفسهم من العلماء" [أبو عجيله 2019 ص473].

المبحث الثالث

(أمثال الحظ، والتفاؤل، والسرور، وعدم الرضا)

المطلب الأول - أمثال الحظ والتفاؤل:

((تَعَاوَدَتِ الْأَرْيَاحُ وَجَاءَ الْكَيْدُ عَلَى الصَّارِي))

هذا المثل يضرب لمن يكون ضحية صراع لا علاقة له به، فيكون هو الخسران والمتضرر أكثر من المتخاصمين، وشبه بصراع الأرياح التي تأتي نتيجة صراعها على الصاري، وهو خشبة الشراع في السفينة، فالرياح تتصارع والضرر يلحق الصاري فينكسر نتيجة تصارعها، وفي هذا المثل تصوير بديع "عن تحمل الضعفاء جرائم ما يرتكبه الأقوياء من أعمال" [مغنية 1424 ص 304]. والذي أحفظه: (تصارع الأرياح ويحي الكويد عالصاري).

قال المصراقي: "وما أطرف مفارقات الحياة! قد تتصارع بعض الجهات والاتجاهات؛ فيأتي العبء والكد على الغير، وتتحرك عوامل ومشاحنات في صراع الحياة؛ فتأتي النتائج على رأس من لا دخل له. يصور هذا مثل ذو إطار فلسفي بأسلوب ساخر مركز" [المصراقي 1982 ص 148]. وقد ذكر المؤلف هذا المثل عند حديثه عن بناء التنور، وعن المدة التي يتم فيها بناؤه، وكيف تمر هذه المدة بسرد بعض الحكايات عن بناء التنانير، وخاصة من تلك النسوة اللاتي يصنعن التنانير وهن لا يُجِدْنَ صناعته وبنائه، وكيف أمار تنور فلانة وفلانة، وعمما يصحب هذا البناء من العناد بين النسوة الصانعات، ولا شك أن في عنادهن شيئاً من التحدي والتعدي وهن يبنين التنور، فكأنهن يتصارعن من أجل التفتن في صناعته، حتى إذا كن كذلك ينهار التنور بين أيديهن، فيصدق على هذا الموقف المثل المذكور" [أبو عجيبة 2019 ص 144].

((تريد عشانا عيش برم وجانا كسكسي))

هذا المثل يضرب لمن ينتظر شيئاً ذا مواصفات معينة ومرضية، فإذا به يأتي على غير ما هو مأمول، فيأتي؛ ولكن بمواصفات غير مرضية، فيقال هذا المثل تعبيراً عن خيبة الأمل، وسوء الحظ. وذكره المؤلف أثناء قصة يسردها وقد كان واحداً من أبطالها، وكانت وقت استخراج الملح الطبيعي من الأرض، ويحكي أنه أكثر من الأسئلة التي يطرحها على مرافقه في هذه الرحلة المشوبة ببعض المخاطر؛ لعدم دفع رسوم تذكرة السماح باستخراج الملح لرجال البي الذين يمنعون استخراجهم بلا رسوم، فيذكر المؤلف أن رفيقه قال هذه الجملة أو أغنية العلم أو المثل، وكان رفيقه يعني به أنه كان طامعاً في معونته والتخفيف عليه في استخراج الملح، فإذا به يزيد من معاناته بأسئلته الكثيرة، حتى إن لسان حاله يقول: لو ذهبت لإخراج الملح بمفردي كان أفضل لي، فقال هذا المثل الذي يتقبله رفيقه بلا حرج أو أذى" [أبو عجيبة 2019 ص 533].

((حِسُّ الْبَحْرِيِّ جَيِّ يُشْرَتَعُ فِي الْمَيِّ))

هذا المثل يضرب لمن ينتظر خيراً مفرحاً، وهو ينتظره بلهف وشوق، فبمجرد وجود علاماته ومبشراتة الأولى يستحضر هذا المثل الذي يدل على الخير والسرور؛ لأن الماء وما يتعلق به من علامات الخير والسرور عند العامة.

وذكره المؤلف عند حديثه عن تفاؤل الناس بالماء وربطه بكل ما هو خير؛ بل من شدة تفاؤلهم "يفرحون حتى يهبوب الريح البحري التي تكون مشبعة ببخار الماء" [أبو عجيله 2019ص182]، وبرودة الهواء.

ثم يذكر المؤلف مسألة صوتية في اللهجة الليبية، وهي الإمالة، وأن "اللهجة المحلية تفضل الإمالة في نهاية الكلمات المفتوحة" [أبو عجيله 2019ص182]، سواء بعدها ألف لينة، مثل: مُنِي، دَعَا، أو ممدودة بعدها همزة، مثل: سماء، فيقولون: اَمْنِي، دَعِي، سَمِي.

المطلب الثاني- أمثال السرور وعدم الرضا:

((فَرَحَةٌ شَخَاخٌ بِخُرْبَةٍ))

هذا المثل يضرب لمن يبحث عن شيء ويلح في البحث، ثم يجده كما يجد مضطر البول أو الغائط مكاناً ليقضي فيه حاجته، بعد أن أمسك بوله أو غائطه فوق ما يستحم؛ لذلك كان يسمى محل قضاء الحاجة في عاميتنا بـ(بيت الراحة)؛ لراحة الشخص بعد استخراج ما في جسمه من فضلات.

وقد ذكر المؤلف هذا المثل عند حديثه عن بعض مرافق البيت قديماً، ومن ضمنها ما يسمى بالكنيف، وهو ما يسمى حديثاً بالحمام أو دورة المياه، فبعد ذكر أهمية الكنيف، وأنه "في البيت الريفي لا تستعمله في الغالب إلا النساء، أما الرجال فإنهم يتخلصون من فضلاتهم في... الحقول وخرائب البيوت القديمة" [أبو عجيله 2019ص179]، أورد المثل، فالرجل إذا اشتدت حاجته إلى الدخول إلى الحلاء لقضاء حاجته، يفرح كثيراً إذا وجد خربة يبرز فيها، فقليل هذا المثل.

((كُلُّ صَغِيرٍ أَكْوَيْسٌ إِلَّا صَغِيرُ الْخُبْزَةِ))

هذا المثل يضرب لمن أعطي شيئاً قليلاً وهو غير راضٍ به، فيذكرهم بأن كل صغير جميل إلا صغير الخبز؛ لأن الخبز قوت ضروري، فكلما تحصل الشخص على رغيف كبير كان أفضل. والذي أحفظه: (كُلُّ اصْغَرٍ بِأَهْيِ إِلَّا قَتَانِ الخُبْزَةِ)، والقنان هو الرغيف الصغير.

وذكره المؤلف عند الحديث عن بعض طقوس الأعراس، وما يصحب تجهيز العروس من بعض الأغاني الريفية، "ومن بين تلك الطقوس- وقبل كسر القروش- عملية التبريم... (برم أو إبرام شعر العروس)...، أما فحوى تلك الأغاني فهي موزعة بين التبريك والإطراء للعروس، ولعل الأغنية التالية خير ما يمثل أو يلخص تلك الأغاني، وهي... (مَبْرُوكٌ عَلَيكَ التَّبْرِيمُ**يَاللَّي كَيْفَ جَدِّي الرَّيْمُ)...، ونلاحظ أن الشاعرة لم تكتف بوصفها بالريم حتى جعلتها جدي ريم، أي: ابن الريم الصغير، ومعروف أن كل صغير يكون أجمل منه في حال الكبر" [أبو عجيله 2019 ص78]، ثم ساق المثل المذكور.

((نُوضِيَةُ الكَبِيرِ بِأَحْسَابِهَا))

هذا المثل يضرب لمن يطلب شيئاً من شخص كبير في السن، سواء أكان بالفعل يشعر بالمشقة أثناء القيام به أم لا يشعر، والمقصود به عدم الاستعجال في تحقيق وتنفيذ المطلوب؛ بل يراعي وضع الشخص المطلوب منه القيام بعمل ما، ومثل هذا المثل: (طَيِّحَةُ الكَبِيرِ بِأَحْسَابِهَا).

وذكره المؤلف عند حديثه عن حقوق المتقاعدين بعد إتمام خدماتهم، وأنه على الدولة أن تعتنى بهذه الشريحة من المجتمع، وذلك بتخصيص مقاعد تناسب مع كبار السن عند جلوسهم عليها، وهو ما يؤكد احترام المجتمع لمن أعطوا زهرة شبابهم لخدمته، ثم يعلل هذا المقصد النبيل الذي حث المجتمع على الاهتمام به ووضعه موضع التنفيذ بأن وقوف كبير المسن صعبة وليست بالأمر السهل؛ لكن إذا كانت المقاعد ذات ارتفاع مناسب للنهوض من عليها كان الوقوف والنهوض سهلاً [أبو عجيله 2019 ص286].

((هَيْلٌ بَلَا كَيْلٌ))

هذا المثل يضرب لمن لا يحسن تقدير الشيء قدره الذي يستحقه، سواء في الإنفاق أو في الكلام وما يجب أن يكون عليه، أو في أي شيء يُستعجل في تنفيذه وهو محتاج إلى التريث.

وذكره المؤلف عند حديثه عن المرأة الحامل وما لها من أجر عظيم أثناء حملها وبعد وضعها لمولودها، وأن أجرها يمكن أن يقاس "بأجر الصائم نهاره، والقائم ليله في سبيل الله" [أبو عجيله

2019ص225]، فإن أجر المرأة بسبب سهرها على طفلها ربما يتجاوز أجر الصائم القائم حتى تصل إلى منزلة لم يبلغها؛ لأن عطاء الله لا يحد، كما يقال: (هيل بلا كيل) [أبو عجيله2019ص225].

خاتمة

- بعد هذه الرحلة في الموروث الشعبي، التي عشت تفاصيلها بين أسطر كتاب (من ذاكرة قرية)، أذكر بعض النتائج التي وقفت على ملامحها من خلال السرد والتحليل، منها:
- أن الأمثال العامية مرآة صادقة لتصوير الحياة الاجتماعية في كل مكان وزمان.
 - أن الأمثال العامية رافد مهم من روافد الأدب على كل المستويات.
 - أن الأمثال العامية تتميز بقصر العبارة، ووضوح الألفاظ.
 - أن الأمثال العامية تتفق تماماً مع الأمثال الفصيحة في كثير من السمات.
 - أن المؤلف (مصطفى أبو عجيله) كان من الكتاب الموسوعيين، يجمع بين كل العلوم في تأليفه.
 - أن المؤلف (مصطفى أبو عجيله) لم يذكر في كتابه من الموروث الشعبي إلا ما شاهده بعينه، أو سمعه بأذنيه، أو عاش بعض تفاصيله، وهو ما تعهد به في تمهيد كتابه.
 - أن المؤلف (مصطفى أبو عجيله) يذكر المثل في سياق الإصلاح والتوجيه والإرشاد الأخلاقي والتربوي.
 - أن كتاب (من ذاكرة قرية) صور الموروث الشعبي - لمدينة مصراتة عامة ولقرية الزروق خاصة- تصويراً بديعاً.
 - أن كتاب (من ذاكرة قرية) مرجع مهم في الأدب والموروث الشعبي الليبي.

- أن كتاب (من ذاكرة قرية) جدير بأن تقام عليه بعض الدراسات العلمية؛ لاستخلاص فوائده الشرعية واللغوية والأدبية والاجتماعية.

والله ولي التوفيق

المصادر والمراجع

أولاً- الكتب:

- ابن الأثير، م، 1410هـ: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت.
- ابن منظور، م، 1414هـ: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط(3).
- أبو داود، س، بلا: سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ومعه: تعليقات كمال يوسف الحوت، والأحاديث مذيبة بأحكام الألباني عليها.
- أبو عجيبة، م، 2001: ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا، دار رباح للطباعة والنشر.
- أبو عجيبة، م، 2014: الشيخ أحمد زروق محتسب العلماء ومجدد القرن العاشر الهجري، مكتبة ابن نصر، مصراتة- ليبيا، ومؤسسة المختار، للنشر والتوزيع، ط(1).
- أبو عجيبة، م، مخطوط: السيرة الذاتية.
- أبو عجيبة، م، 2019: من ذاكرة قرية، منشورات جامعة مصراتة، ط(1).
- البيهقي، أ، 2003م: شعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، إشراف: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومبي بالهند، ط(1).
- الجبروع، ع، 2003: الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط(1).
- الحمزاوي، ع: الأمثال العربية والأمثال العامية، مقارنة دلالية، المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث.
- الراغب، ح، 1412هـ: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق- بيروت، ط(1).

- الزبيدي، م، بلا: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
 - السيوطي، ج، 1985: الحباتك في أخبار الملائك، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط(1).
 - السيوطي، ج، 1998: المنهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(1).
 - الفيروزآبادي، م، 2005: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط(8).
 - قادر بوه، ع، 1428هـ: مقاعد أصحاب الصوب، رحلة في عالم المأثورات الشعبية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط(1).
 - المصري، ع، 1982: التعبيرات الشعبية الليبية دلالات نفسية، عرضاً ودراسة، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، ط(1).
 - مَغْنِيَّة، ح، 1424هـ: الأمثال الشعبية الليبية، أبعادها الحضارية والثقافية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط(1).
 - اليوسي، ن، 1981: زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق: محمد حجي، ومحمد الأخضر، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط(1).
- ثانياً- المقابلات الشخصية:
- أبو عجيل، ح، 2023: مقابلة شخصية، بمكتبة أحمد زروق، يوم السبت، 2023/7/22م.
 - أبو عجيل، م، 2024: مقابلة شخصية، بمسجد أحمد زروق، يوم الجمعة، 2024/12/27م.